مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (3): 672-687، 2021

Research Article Open Access

النساموني‌س

الشريف امراجع علي حامد
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار
عبدالناصر علي بلقاسم الشريف
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اجدابيا

Doi: https://doi.org/10.54172/1q30yw89

المستخلص: تهدف هذه الدراسة، لتسليط الضوء، على قبيلة النساموني‌س الليبية، ودورها في مقاومة القوى الأجنبية، ونمط معيشتها، وقد أتبع في هذه الدراسة، المنهج التاريخي السردي، مع التحليل والمقارنة كلما أمكن ذلك، وقد تبين لنا، أن هذه القبيلة لم تخضع للقوى الأجنبية، وكانت في صدام مستمر معهم طيلة العصرين اليوناني والروماني، كما عرف النساموني‌س، أنماط متعددة من العيش، نتيجة ظروف موطنهم البيئية، تارة رعاة وتارة تجار وتارة مزارعين، وتارة أخرى قراصنة.

الكلمات المفتاحية: قبيلة النساموني‌س الليبية، العصر اليوناني، العصر الروماني

Nasamones

ALSHAREEF HAMID
Department of History, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University
Abdel Nasser Ali Belkacem Al Sharif
Ancient History, Faculty of Arts, Ajdabiya University

Abstract: This study aims to shed light on the Libyan Nasamones tribe, its role in resisting foreign powers, and its lifestyle. In this study, the narrative historical approach was followed, with analysis and comparison whenever possible, and it became clear to us that this tribe was not subject to foreign powers and they were in constant conflict with them throughout the Greek and Roman eras. as the Nasamones knew, various types of life, as a result of the environmental conditions of their habitat, sometimes as shepherds, sometimes merchants, sometimes farmers, and at other times pirates.

Keywords: The Libyan Nasamones tribe, Greek era, Roman era

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

النسامونيس (Nasamones)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة، لتسليط الضوء، على قبيلة النسـامونيس الليبيـة، ودورهـا في مقاومـة القـوى الأجنبيـة، ونمـط معيشـتها، وقـد أُتبـع في هـذه الدراسة، المنهج التاريخي السردي، مع التحليل والمقارنـة كلمـا أمكن ذلـك، وقد تبين لنا، أن هذه القبيلـة لم تخضـع للقـوى الأجنبيـة، وكـانت في صـدام مستمر معهم طيلة العصرين اليوناني والروماني، كمـا عـرف النسـامونيس، أنماط متعددة من العيش، نتيجة ظروف موطنهم البيئيـة، تـارة رعـاة وتـارة تجار وتارة مزارعين، وتارة أخرى قراصنة.

Summary:

This study aims to shed light on the Libyan Nasamones tribe, its role in resisting foreign powers, and its lifestyle. In this study, the narrative historical approach was followed, with analysis and comparison whenever possible, and it became clear to us that this tribe was not subject to foreign powers and they were in constant conflict with them throughout the Greek and Roman eras. as the Nasamones knew, various types of life, as a result of the environmental conditions of their habitat, sometimes as shepherds, sometimes merchants, sometimes farmers, and at other times pirates.

المقدمة:

تُعد قبيلة النسامونيس من القبائل الليبية الكبيرة، تتحكم في منطقة جغرافية واسعة ومهمة، حيث يشمل موطنهم، الحوض الجنوبي الشرقي لخليج سرت الكبير، حتى مدينة يوسبيريدس (بنغازي) شرقاً، وواحة أوجلة جنوباً، مكّنهم هذا الموقع من التحكم في طريق تجارة القوافل، القادمة لواحة أوجلة ومنها إلى ساحل خليج سرت الكبير. كما أن النسامونيس صعبي المراس، لم يخضعوا للقوى الأجنبية، وشكلوا رعباً للبحارة المارين بالقرب من شواطئ السرت الكبير، وظلوا في صراع دائم مع القوى الأجنبية، منذ العصر اليوناني حتى العصر البيزنطي.

مشكلة البحث طرح طبيعة قبيلة النسامونيس وعدم خضوعها للقوى الأجنبية، ومعرفة السباب وراء ذلك، ونمط معيشتهم.

أهمية الدراسة، توضيح وتسليط الضوء، على قبيلة النسامونيس، لما لهم من دور كبير في تاريخ ليبيا القديم، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم، ودورهم في التجارة الصحراوية.

وقد أُتبع في هذه الدراسة، المنهج التاريخي السردي، مع التحليل والمقارنة كلما أمكن ذلك، وتهتم هذه الدراسة بتاريخ وعادات ونمط عيش

قبيلة النسامونيس، القاطنة في الحوض الشرقي لخليج سرت الكبير، خلال العصرين اليوناني والروماني، وسنعتمد على المصادر الأدبية والنقشية.

وسنتناول بالتحليل المحاور التالية: المحور الأول الموطن ويشمل: الاسم – الموطن. والمحور الثاني يشمل: موقفهم من القوى الأجنبية. والمحور الثالث ويشمل: الحياة الاقتصادية والاجتماعية: النشاطات الاقتصادية – تعدد الزوجات – العادات الدينية. والمحور الرابع ويشمل الرحلات: رحلة شباب النسامونيس واكتشاف دواخل أفريقيا – بعض الرحلات الدينية.

المحور الأول: الموطن:

الاسم:

حسب إحدى شذرات أجرويتاس من كتابه ليبيكا، أن الملك مينوس الكريتي، طرد ابنته أكاكاليس (Ακακαλλις) من الجزيرة إلى ليبيا، عندما علم بحملها من أبوللو، وفي ليبيا أنجبت ابنها أمفيثيميس (Αμφιθεμις) وبعد وصوله سن البلوغ، تزوج بالحوريات وأنجب أبناء هم: أديمارخيداس، أراروكل، باكال، ماكا، بسيللوس، ومنه جاء شعب البسيليين (Agroitas, P. 294, F1).

لدى أبوللونيوس الرودسي، أنجبت لفيبوس (أبوللو) ابناً مجيداً يقال له أمفيثيميس وجرامانتيس، وتزوج أمفيثيميس بعد ذلك من إحدى حوريات التريتون (Apollonius of Rhodes, IV. 1490-1495)، وفي فقرة أخرى يضيف إن إحداهن قد أنجبت لأمفيتيميس ولداً آخر، ناسمون، والذي صار بدوره جداً أكبر، لقبيلة أخرى ليبية حملت أسمه (Apollonius of Rhodes, IV. 1496)ـ هنا نجد أن جرامانتيس أباً لنسامونيس، والاثنان لهما علاقة بآمون، كون اسميهما يحملان لاحقة أمون أو أمان، كما أنهما يشتركان في تقديسه، وإقامة المعابد له، وزيارة معبده الرئيس، بواحة سيوة. فضلاً عن توكيد العلاقة التليدة بين ليبيا وكريت.

ورد اسم النسامونيس في المصادر اليونانية واللاتينية والبيزنطية، ويُعد بليني الأكبر، أول من قام بمحاولة فك شيفرة الاسم، فقد ذكر أن الإغريق أطلقوا عليهم الميسامونيس Mesammones، لأن موطنهم في وسط الرمال (Pliny, V. 33)،ـ يُورد النحوي سيرفيوس في نهاية القرن الرابع الميلادي، أن النسامونيس تحريف للميسامونيس (Servius, XI. 265)، بينما يرى ستيفان جزيل في مؤلفه هيرودوتس، أنه اسم أفريقي، ومحاولة ربطه بيمسامونيس، هو مجرد تلاعب بالألفاظ على الطريقة اليونانية (Gsell, 1915, pp, 125-126)، ويُشير ديزانج لنقشين جنائزيين، أحدهما بمرسى سوسة في مقر القنصلية الفرنسية، ورد فيه بلوتيا ماسامونيكا Plotia Masamonica، والأخر بالقرب من لامبيزي بالجزائر، ورد فيه يابثمي ماسامون Iapthmi Masamon، وهو اسم ليبي، واحتوى هذا النقش الأخير على بعض الأحرف اليونانية (

Desanges, 2012, p, 5252)، مما يوحى بربطه بإقليم كيرينايكا، ويرى أوريك باتيس أن ميس Mes، بادئة اسمية في البربرية (Bates, 1914, p, 52. n.8)، وعلى أي حال فإننا نرى أن هذا الاسم ليبي، وله علاقة بالمعبود أمون، الذي انتشرت عبادته بين القبائل الليبية، من سيوة حتى الأطلسي.

في نهاية العصر الروماني ظهرت اتحادات قبلية، تنضوي تحتها قبائل عديدة، وفي بعض الأحيان ظهرت مسميات جديدة، اختفت معها أسماء قديمة، إلا أنه من حين لآخر، تظهر بعض الأسماء القديمة في بعض الملاحم الشعرية، تُشير لأشخاص أو قبائل منضوية تحت الاتحادات القبلية الجديدة، بأسماء قديمة، مما يوحي بأن هذه الاتحادات ماهي إلا أجسام جديدة تشتمل على مسميات قديمة، وبما أن النسامونيس شعب كثير العدد، فمن المرجح أن بقايا من النسامونيس، أو بعض البطون قد دخلت في اتحادات مع قبائل أخرى، خصوصاً بعد الحروب التي خاضتها القبيلة مع الرومان، إن ظهور قبائل الأوستروياني ولاغواتان في القرن الرابع الميلادي في منطقة خليج سرت، ومهاجمتها لإقليم المدن الثلاث (تريبوليتانيا)، ثم إقليم برقة (كيرينايكا)، يجعلنا نفكر في الربط بين النسامونيس والأوستروياني واللغواتان، ففي هذه الفترة تم اخلاء حصن بونجيم، مما يشير لأن المهاجمين قادمين من دواخل خليج سرت، وهو موطن النسامونيس المتفق عليه، رغم أن نصوص لاحقة في القرن الخامس والسادس الميلاديين، تستشهد بالنسامونيس، ويمكننا تفسير ذلك، بأنهم بقايا بطون من النسامونيس احتفظت أو فضلت الحفاظ على اسمها، بينما انخرطت البقية في اتحادات قبلية (Modéran, 2003, pp. 209-220).

موطن قبيلة النسامونيس:

يذكر هيرودوتس س أن النسامونيس (Νασαμωες) شعب كثير العدد، يحدهم من الشرق الأوسخيساي(Αυσχισαι) (Herodotus, IV. 172)، ومن الغرب المكاي (Μακαι) (Ibid. IV.175)، وبصفة أدق في الجانب الشرقي من خليج سرت، ويبدو أنهم استوطنوا في هذا الموضع لمدة طويلة، لأن سكيلاكس المنحول، يضعهم أسفل خليج سرت الكبير، غربي يوسبيريدس (بنغازي) (Εσπεριδες) وشرقي خليج سرت، ويمتدون غرباً حتى مذابح الأخوين فيليني (Pseudo-Scylax, 109, p, 84-85)، أما في جنوبهم فنجد الجرامنت (Γαραμαντες) (Herodotus, IV. 174 Strabo, II. 5.)، ويضعهم سترابون في الأراضي فوق كيريني (33)، ثم يعود ويذكرهم في موطنهم الأصلي، في أسفل خليج سرت الكبير، بين بيرينيكي (بنغازي)، ومذابح الأخوين فيليني (Ibid. XVII. 3. 20)، يضعهم ديودوروس الصقلي شمال واحة آمون (Diodorus, XVII. 50)، وفي موضع أخر يذكرهم في الأجزاء الجنوبية لإقليم كيرينايكي، وإلى الشرق من خليج سرت (Diodorus, III. 49)،ـ ويصفهم كوينتوس كورتيوس بالشعب السرتي، لكنه يضعهم شمال واحة آمون (Quintus Curtius, IV. 7, 18-19)، يحدد بليني الكبير موطنهم على الساحل الشرقي لخليج سرت الكبير (Pliny, V. 33)، عند

بطوليميـــوس الجغـــرافي مجـــاورين للأوجيلاي في إقليم مارمـــاريكي (بطوليميوس، 4. 5ـ 12)، وفي فقـرة أخـرى، يخلـط بينهم وبين الأوجيلاي (المصدر السابق، 4. 5، 13)، وصولينوس يضعهم على خليج سرت (Solinus, XXVII. 43)، يورد سـيرفيوس في تعليقـه على فرجيـل، مدينـة Aucela ضـمن نطاق النسامونيس (Servius, XI. 265.)، وربما يقصد أوجلة، وذكرهم كوريبوس كمزارعين في خليج سرت (كوريبوس، السادس، ص، 135).

وهكـذا اسـتمر ذكـر النسـامونيس في مـوطنهم المعـروف، بـدءًا من هيرودوتس في منتصف القرن الخـامس قبـل الميلاد، حـتى منتصـف القـرن السادس الميلادي، شاغلين قاع خليج سرت وسواحله الشرقية حتى بنغازي، شاملاً موطنهم هذا الواحات الجنوبية، خاصة أوجلة.

شهد موطن قبيلة النسامونيس ترسيم الحدود بين النفوذ اليوناني في إقليم كيرينايكـا (برقـة) والنفـوذ القرطـاجي في إقليم تريبوليتانيـا (المـدن الثلاث)، واتفق الطرفان على ترسيم الحدود، عن طريق انطلاق عداءين من كيريني ومن قرطاج، في يوم معلوم ووقت محـدد، ونقطـة التقائهمـا تكـون هي الحد الفاصل، وكان اللقاء في المكان الـذي سـيعرف فيمـا بعـد بمـذابح الأخوين فيليني، وأصبح هـو الحـد الفاصـل بين الإقليمين (Sallstius, LXXIX.)، وهو أبعد نقطة في اتجاه الغرب لقبيلة النسامونيس، ومن بعده تبدأ مضارب قبيلة المكاي. كما شهد مـوطن قبيلـة النسـامونيس، ترسـيم حـدود أراضـي Muduciuuii و Zamucii، ومن المحتمـل أنهمـا من بطـون قبيلـة النسـامونيس، وجرى هذا الترسيم، بعد هزيمة النسامونيس على يد القـوات الرومانيـة في عهد الإمبراطور دوميتيان (IRT. 854. Romanelli, 1959, p, 303).

كغيرهم من الليبيين في إقليم البدو الرعـاة، سـكن النسـامونيس في مسـاكن من الخيـام، عرفتـه المصـادر (مباليـا)، وهي مصـنوعة من أغصـان القصب المشدودة لبعضها البعض، وكـانت سـهلة النقـل، وانتشـر مثـل هـذا النوع من الخيـام، عنـد القبائـل الليبيـة في مارماريكـا وكيرينايكـا ونوميـديا (Pliny, V. 22. Sallstius, XVIII. Herodotus, IV. 190. Pomponius Mela, I. 41).

المحـور الثـاني: موقـف النسـامونيس من الإغريـق والرومـان والبيزنطيين:

في العصر الجمهـوري، وإزاء الاضـطرابات والنزاعـات السياسـية بين مدن الإقليم، وبين الأحزاب السياسـية داخـل المـدن نفسـها، تحـركت قبيلـة النسـامونيس، وقـامت بمحاصـرة مدينـة يوسـبيريدس (بنغـازي)، ولم يفـك الحصار عنها إلا اسطول يوناني طوحت به الصدفة على سواحل الإقليم، هذا ما أخبرنا به ثوكيديدس حيث ذكر أن القائد جيليبوس اقتاد معه مجموعة من الجنـود الأثينـيين، حيث وصـلوا مدينـة سـيلينوس في جزيـرة صـقلية، وفي رحلتهم هذه أجبرتهم العواصف، على النزول بالسـاحل الليـبي، فحصـلوا من الكيرينيين، على مراكب ومرشدين، وفي طريقهم مروا بمدينة يوسبيريدس، فوجدوها محاصرة من قبـل الليبـيين، فسـاعدوهم وانتصـروا على الليبـيين (

(Thucydides, VII. 50). جرت هذه الواقعة حوالي 413 قبل الميلاد (Laronde, 1987, p, 27)، وبما أن أقرب القبائل ليوسبيريدس وأكبرها وأكثرها شراسة هي النسامونيس، فمن المرجح أنها هي من قامت بمحاصرة بنغازي.

ونجد عند باوزانياس تأكيداً لحديث ثوكيديدس السابق، فقد ذكر أن سكان يوسبيريدس، عانوا كثيراً من هجمات الليبيين، لذلك دعوا عدداً من اليونانيين لاستيطان يوسبيريدس (Pausanias, IV. 26).

وفي نقش تكريسي للإله أبوللو، يعود للقرن الرابع قبل الميلاد، محفوظ حالياً في مبنى الستراتيجون (القادة) بمدينة كيريني، حيث قدَّم خمسة من القادة العسكريين عشر الغنائم، التي تحصلوا عليها من حربهم مع قبيلتي النسامونيس والمكاي، للإله أبوللو (Laronde, 1987, p, 52)، وجاء فيه:

(عشر الغنائم من مكاي ونسامونيس، نصيب أبوللو من القادة هرميساندروس ثيارو، زينيس براكسيادا، ثيوفيديس ياسيوس، مناسارخوس ثيوخريستو، تيليسارخوس مناسيوس) (شلوف، 1994، ص. 175).

(Δεκατα| Απολλωνι απο Μακαν| και Νασαμωνων. Στρατγοι.| Ερμησανδρος Θεαρω| Ζηνις Πραξιαδα| Θεοφειδης Ιασιος| Μνασαρχος Θευχρηστω| Τελεσρχος Μνασιος.) (SEG. IX. 77).

ووضع هذا النقش المرمري على مبنى القادة، تخليداً لما قام به القادة العسكريون، والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا، هو ما الفائدة التي جناها الكيرينيون من هذه الحرب وما الهدف منها؟ نعلم أن موطن هاتين القبيلتين، على خليج سرت الكبير، النسامونيس على الضفة الشرقية، والمكاي إلى الغرب منهم، على الضفة الغربية، وأن هذه الحرب جرت أحداثها قبل ترسيم الحدود بين كيريني وقرطاج، لأن بعد ذلك لن تستعين قبيلة المكاي بالنسامونيس، ستسعين بالقرطاجيين، في طرد المستعمر الإسبرطي دوريوس، الذي أنشأ مستوطنة عند كنيبوس (وادي كعام) (Herodotus, V. 42)، بمعنى أنها ضمن النفوذ القرطاجي، غربي مذابح الأخوين فيليني. لهذا فمن المرجح أن هذه الحرب كانت من أجل السيطرة والتحكم في تجارة القوافل، القادمة من داخل أفريقيا، وما تقديم عشر الغنائم لأبوللو، إلا دليل على ذلك.

خلال الحرب الأهلية الرومانية، بين قيصر وبومبي، نجد فقرة لدى يوستاثيوس، ذكر فيها أن النسامونيس قدموا الدعم والمساعدة للقائد الروماني كاتو، لكنهم تلقوا الهزيمة على يد قوات قيصر (Eustathius, 209 (GGM. II. P, 253).)، فضلاً عن انضمام البسوللي لكاتو، ومساعدته في عبور خليج سرت الكبير، ومعالجة الجنود الذين تعرضوا للدغات الأفاعي (Plutarch, Cato Minor, LVI. 3).

استغلت القبائل الليبية انشغال روما بالحرب الأهلية، وضعف السلطة الرومانية، فقامت بانتفاضة امتدت من برقة حتى موريتانيا، شاركت فيها

قبائل كثيرة، النسامونيس، الجرامنت، الجيتول، المارماريداي (Laronde, 1988, p, 1021). كانت أقواها وأشدها انتفاضة النسامونيس، وتسببت في مقتل بروقنصل أفريقيا، ل. كورنيليوس لينتولوس (L. Cornelius Lentulus) (Eustathius, 209 (GGM. II. P, 253))، وربما يعود لهذه الفترة تعزيز حامية كورنيكلانوم (أجدابيا)، وزاوية مسوس، بجنود من سوريا (Reynolds, SEG. IX. 773-795. 1987, p, 168)، للوقوف في وجه هجمات النسامونيس على إقليم كيرينايكا.

في عهد الإمبراطور دوميتيان، حوالي عام 86 ميلادية، وكنتيجة لتصرفات جامعي الضرائب السيئة، تمرد النسامونيس وقتلوا جامعي الضرائب، وعندما تم تكليف قوة رومانية لإخماد هذه الثورة، تمكن النسامونيس من هزيمة القوة الرومانية، واحتلال معسكرها، فوجدوا كميات كبيرة من الطعام والنبيذ، فشربوا وناموا، سمع القائد الروماني فلاكوس بذلك، فعاود الهجوم على النسامونيس، وانتصر عليهم، مما جعل الإمبراطور دوميتيان يتباهى أمام مجلس الشيوخ، ويقول قد أنهيت النسامونيس للأبد (Zonaras, XI. 19. Dio's, LXVII. 6)، إن إبادة هذه القبيلة كما ذكر الإمبراطور دوميتيان أمام مجلس الشيوخ أمر مبالغ فيه، لأن هذه القبيلة استمر ذكرها في مصادر العصرين الروماني والبيزنطي، ولذلك نرجح أنها ارتحلت من مضاربها عند خليج سرت إلى الواحات، وهذا ما جعل بعض المصادر، توطنهم في واحة أوجلة (بطوليميوس، 4. 5 ـ 12-13)، وفي فترة مقاربة لهذه الثورة، نجد نقشاً يذكر أن القائد الروماني، سويلوس فلاكوس Suellius Flaccus قام بترسيم الحدود بين قبيلتي Muduciuuii و Zamucii (IRT. 854)، فمن المحتمل أنهما ضمن بطون النسامونيس، ويرى بيترو رومانيللي أنهما من القبائل الصغيرة، المنضوية تحت سلطة النسامونيس (Romanelli, 1959, p, 303)، ويذكر مارسيل بينابو إن هذه الإجراء يقع ضمن صد خطر القبائل الكبيرة، وترسيم حدود الأخرين لفرض الهيمنة والسلطة الرومانية (Bénabou, 1976, pp, 436-437).

شهدت أواخر القرن الرابع الميلادي، ثورة الزعيم النوميدي جيلدو، ضد القوات الرومانية في نوميديا وموريتانيا (Modéran, 1989, p, 821)، نجد النسامونيس مشاركين فيها، ويذكر كلوديان أنهم شجعان ومتهورون، ولن تردعهم حتى نبوءات آمون المتشائمة (Claudian, I. 254-58).

في عهد الإمبراطور جستنيان، قدّم الشاعر الأفريقي كوريبوس عمله الحرب الليبية، في منتصف القرن السادس الميلادي، ذكر فيه اتحادات قبلية كبيرة، مثل لاغواتان Laguatan (لواتة)، ضمن هذا الاتحاد نجد النسامونيس ساكني منطقة سرت، منخرطين في الحرب ضد البيزنطيين، تحت إمرة قائدهم كاركسان Carcasan، الذي تزعم قيادة الحرب ضد البيزنطيين، مدعوماً بنبوءة من كاهنة آمون، مفادها أنه سيدخل بيزاكينا (كوريبوس، السادس، ص ص، 132ـ 135ـ 144ـ 148)، لكنه تعرض للهزيمة وسقط في ميدان المعركة (كوريبوس، الثامن، ص، 200). وهكذا كان النسامونيس

في صـراع دائم مـع الغـزاة، فلم يرضـخوا وضـلوا محـافظين على هـويتهم وموطنهم.

المحور الثالث: الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

الحياة الاقتصادية:

تشـتهر أرض النسـامونيس بالسـلفيون (Herodotus, IV. 182)، يخبرنـا سترابون عن تهريب السلفيون، عند مكان يدعى خاراكس، ومبادلتـه بالنبيـذ مـع القرطـاجيين (Strabo, XVII. 3. 20). يصـفهم كوريـبيوس بـالمزارعين (كوريبوس، السادس، ص، 135)، وهذا ينطبق مع جاء عند هيرودوت، بـأنهم يـتركون قطعـانهم على السـاحل، ويـذهبون لواحـة أوجلـة لجـني التمـور (Herodotus, IV. 182)، فالقطعـان تـرعى في منطقـة السـاحل، في حقـول وأراضي القبيلة، وربما تمت زراعة الحبوب، ليسـتفيدوا منهـا هم وحيوانـاتهم على حد السواء.

الرحلة لواحة أوجلة الواقعة على طـرق القوافـل، سـواء القادمـة من مصر أو من دواخل أفريقيا، هذه الرحلة لا بد أنها ليست لجمع التمور فقـط، بل كانت لمبادلـة المنتجـات والبضـائع بين الطـرفين، بمـا أن النسـامونيس، لديهم جبل يعد أحد مناجم الأحجار الكريمة، ويخبرنا بليني عن كيفيـة جمعـه، حيث يقول يجمع ليلاً لأنه يتلألأ على ضوء القمر (Pliny, XVII. 30)، وحجر كريم أخـر، اسـمه نسـامونيتيس (Pliny, XVII. 64). ومـا الحـرب بين كيريـني والنسامونيس والمكـاي (SEG. IX. 77)، إلا للتحكم في هـذا الطريـق، ولمنـع تهريب السلفيون، فضلاً عن أن ترسيم الحـدود بين كيريـني وقرطـاج، يؤكـد رأينا السابق، ويصـب في مصـلحة الأهميـة التجاريـة لمـوطن النسـامونيس، وبعد هذا الترسيم نجد قرطاج تساعد المكاي في طرد المسـتعمر دوريـوس الإسبرطي، الذي أقام مستوطنة عند نهر كينيبوس (وادي كعـام) (Herodotus, V. 42).

ذاع صيت النسامونيس، أنهم ناهبي حطام السفن، ويتاجرون مع العالم أجمع، بالمنتجات التي تحصلوا عليها من السفن المحطمة (Lucan, IX. 440-444; Silius Italicus, I. 408-409; Quintus Curtius, IV. 7, 20)، وهذا يتطلب دراية ومعرفـة بحريـة، سـواء بـالأنواء أو بالمـد والجـزر وبركـوب البحـر، حـذرت المصادر القديمـة من الاقـتراب من سـاحل سـرت (Pomponius Mela, I. 35; Strabo, XVII. 3. 20)، حيث كان المرور من هنا مرعباً، ولابـد أنـه كـان هنـاك طريق بحري يمـر من هنـا، يربـط بين قرطـاج والإسـكندرية، أو مـع صـقلية وإيطاليا.

يتغذى النسامونيس على الجراد، بعـد تجفيفـه في الشـمس، وطحنـه، واضافته للحليب (Herodotus, IV. 172)، وبما أنهم يمتلكون قطعان من الأغنام، فلا تعوزهم منتجات الألبان، أما اللحوم فغالبيـة القبائـل، تعيش على الصـيد، لأنهم يعدون حيواناتهم ثروتهم الوحيدة (Pomponius Mela, I. 41).

الحياة الاجتماعية:

تعدد الزوجات:

عرفت قبيلة النسامونيس نظام المشيخة، فكان لها شيوخ وأمراء يضعون الريش على رؤوسهم (Dio Chrysostomus, LXXII. 3)، تمييزاً لمكانتهم الاجتماعية، وهذه العادة تميّز بها الليبيين منذ القدم، حيث صورتهم النصوص المصرية، متشحين بالريش.

مصادر كثيرة تناولت الممارسات الجنسية لدى النسامونيس، لكن يبدو أن مصدرها واحد، جميعها أخذت عن هيرودوت. الذي ذكر أن لكل رجل نسامواني عدد من الزوجات، ويتزاوجون معهن بشكل مشترك، بطريقة مشابهة لما يقوم به المساجيتي، فيضعون عصا أمام المكان ويتعاشرون، فضلاً عن أنه عندما يتزوج رجل منهم، جرت العادة أن يضاجع الضيوف، العروس في الليلة الأولى، وذلك بعد أن يمنحها كل واحد منهم هدية مما احضره معه من منزله (Herodotus, IV. 172)، معلومات مشابهة لهذه أوردها بومبونيوس ميلا عن الأوجيلاي، إنه لواجب ديني في ليلة الزفاف، أن تنام العروس مع كل رجل جلب هدية، هذه فقط في ليلة العرس، كواجب ديني، لكن بعد ذلك تظل وفية لزوجها (Pomponius Mela, I. 46).

عرفنا من المصادر الفرعونية عادة وضع الريش على الرأس لدى القبائل الليبية، وأن من يضعون الريش هم ملوك وأمراء القبائل، ولديهم زوجات عديدة، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، في عهد الفرعون مرنبتاح، أسر المصريون أثني عشر امرأة ليبية، احضرها الزعيم الليبي المهزوم معه (Breasted, 1906a, 588)، في الحرب الليبية الثانية في عهد رمسيس الثاني، تم أسر زوجات الأمراء وعددهن ثلاثمائة واثنين وأربعين (342) امرأة (Breasted, 1906b, 111)، وفي بداية حكم بعنخي حوالي 725 ق.م (Schellinger, 2010, p, 92)، بعد أن انتصر على الملك الليبي ناملوت، دخل قصر الملك المهزوم، وأمر بإحضار زوجاته وبناته (Breasted, 1906b, 849)، يذكر بومبونيوس ميلا أن البدو لديهم زوجات كثيرة، وبالتالي عدد ليس بالقليل من الأبناء (Pomponius Mela, I. 48)، ويؤكد سالوست أن النوميديين والموريين، لهم زوجات كثيرة، كل حسب قدرته، بعضهم لديه عشر زوجات أو أكثر، أما الملوك فلديهم أكثر من ذلك بكثير (Sallstius, LXXX)، وعندما قايض القائد البيزنطي، رجال القبائل الليبيين بالرهائن، كان الرد أنت وحدك، يا صاحب الزوجة الواحدة، أنت من يقلق بشأن أطفاله، أما نحن إذا شئنا نتزوج خمسين زوجة (Procopius, II. 11. 13).

مصادر كثيرة تؤكد لنا نظام تعدد الزوجات في المجتمع الليبي القديم، وهذا يقودنا لمعرفة الخطأ الذي وقع فيه هيرودوت عن الإباحية لدى النسامونيس، فالكاتب متأثر بثقافة ومجتمع يوناني، عرف نظام أحادي الزوجة، وكل ما يخالف بيئته هذه يعد نساجاً عن الطبيعي، كما أن ما أورده عن طقوس قبلية الأوسيس، يعد مناقضاً لفكرة الشيوعية والإباحية، فقبيلة الأوسيس تنظم حفلاً سنوياً على شرف الربة أثينا، يتبارى فيه فريقين من

الفتيات، ومن تمت منهن متأثرة بجراحها، تعد فاقدة للعذرية (Herodotus, IV. 180)، كما أن النسامونيس يقدسون رجال القبيلة الصالحين (Herodotus, IV. 172)، وهذا تكريم واعتزاز بالأصول في القبيلة، كما يؤكد الترابط الأسري، وهو منافي أيضاً لفكرة الإباحية، في المجتمع الليبي القديم. وإن كانت هناك إباحية فهي مرتبطة بطقوس الخصب أو بطقوس دينية، بمعنى أنها تقام خدمة لأغراض بعينها.

تأدية القسم لدى النسامونيس:

يذكر هيرودوت تقديس قبيلة النسامونيس للرجال الصاحين في قبيلتهم بعد رحيلهم، وتعد قبورهم مزاراً يقصده رجال القبيلة للمصادقة على المواثيق والعهود، فيجتمع الرجال الذين يريدون تأدية القسم عند قبور الصالحين، ويضعون أيديهم على قبورهم، ويؤدون القسم المتفق عليه (Herodotus, IV. 172.).

واستمرت هذه العادة إلى وقتنا الحاضر، خصوصاً في المشاكل القبلية المتعلقة بملكية الأراضي الزراعية، وترسيم حدودها بين القبائل الكبيرة، وحتى بين البطون الصغيرة داخل القبيلة نفسها، ولكل قبيلة ولي صالح تتبرك به، وتقدم له الأضاحي، وتُؤدي الأيمان عند ضريحه. ولتوكيد هذا القسم، يتقابل رجال النسامونيس، ويسقي كل منهما الأخر بيده، وإذا لم يعثروا على شيء ليشربوه، فإنهم يلعقوا تراب الأرض (Herodotus, IV. 172).

استطلاع الغيب:

يورد هيرودوت أن النسامونيس، إذا أرادوا استطلاع ومعرفة الغيب، ذهبوا إلى قبور أسلافهم، وهناك يقومون بتأدية الصلاة، ثم ينامون عند القبور، وما يتراءى لهم من أحلام، يعد بمثابة وحي (Herodotus, IV. 172).

إلى وقت قريب، كان يذهب الليبيون إلى اضرحة الأولياء، الوقعة ضمن موطن القبيلة، لطلب البركة والشفاء، يعدون الولائم، ويؤدون الصلوات، وينام المرضى داخل الضريح.

وأما عادات الدفن، فتختلف عند النسامونيس، عن بقية البدو الرعاة، فيدفنون موتاهم في وضع القرفصاء، عندما يكون الانسان على فراش الموت، فأنهم يحرصون أن يكون جالساً، حتى لا تخرج روحه، وهو مستلق على ظهره (Herodotus, IV. 190)، ويعلق جزيل أن هيرودوت كان مخطئاً، فقبائل ليبية كثيرة، تدفن موتاها ورجليها مثنية (Gsell, 1915, pp, 181-182). ويذكر سيليوس اتاليكوس أن النسامونيس يتخلصون من جثث موتاهم بإلقائها في البحر (Silius Italicus, XIII. 480).

رابعاً: الرحلات:

رحلة شباب النسامونيس واكتشاف دواخل أفريقيا:

يخبرنا هيرودوت على لسان ايتارخوس ملك الأمونيين سكان سيوة، أنه قدم إلى الواحة بعض من النسامونيس، ورووا له حكاية خمس شباب من أبناء الوجهاء، قرروا القيام برحلة لاكتشاف أماكن جديدة، غير معروفة لديهم من قبل، وبعد أن تزودوا بالماء والمؤن اللازمة لرحلتهم هذه، اجتازوا الأرض المسكونة ثم أرض الوحوش ثم عبروا الصحراء غرباً، حتى وصولوا لأرض منبسطة بها سهل وأشجار مثمرة، وبينما وهم يجمعون الثمار، جاءهم رجال قصار القامة، سود البشرة، لم يفهم أي من الطرفين لغة الأخر، واقتادوهم لقرية بها نهر يجري من الشرق إلى الغرب، توجد به تماسيح، وبها قوم مشابهين تماماً لقصار القامة هؤلاء، وبعد ذلك عاد الشباب الخمسة، سالمين لموطنهم (Herodotus, II. 32-33).

نفهم من حديث هيرودوت أن النسامونيس، تعوّدوا على الذهاب إلى واحة سيوة مرات عديدة، سواء للتجارة أو للطلب المشورة من كاهن آمون، بمعبد الوحي، وأن لغتهم مفهومة لدى الأمونيين. بما أن هيرودوت حدد المسافة بين واحتي أوجلة وسيوة بعشرة أيام، فإن النسامونيس قد ذهبوا لسيوة عن طريقة أوجلة، وربما مروا بالجغبوب، ورحلة هؤلاء الشباب نحو دواخل أفريقيا، انطلقت من ساحل سرت، مروراً بأوجلة ومنها إلى دواخل أفريقيا.

أيضاً رحلة هؤلاء الشباب الخمسة، لم تكن هي الأولى، فقد سبقتها رحلات لاكتشاف أماكن أخرى، ومن المرجح أن مجلس القبيلة، هو من يوصي بمثل هذه الرحلات، لدعم وتعزيز اقتصاد القبيلة، ومعرفة سوق المواد الخام في دواخل أفريقيا، والمتاجرة بها، ومبادلة البضائع، بين ساحل سرت ودواخل أفريقيا.

ثار جدل بين كثير من المؤرخين، عن مكان وصول هؤلاء الشباب، فهناك من يرى أنهم وصولوا واحة ورقلة جنوب الجزائر (Vivien, Paris, 1863, p, 18)، وستفان جزيل يرى أنهم وصولوا وادي الساورة جنوب غرب الجزائر (Gsell, 1915, pp, 205-206.)، ومنهم من يرجح نهر النيجر (Bates, 1914, p, 104)، وهناك من يميل لبحيرة تشاد (Carpenter, 1956, pp, 239-240)، وسيظل مكان هذا النهر محل جدال، وكل ما طرحنا أعلاه مجرد تخمينات حاول أصحابها، إحداث بعض التعديلات على فقرتي هيرودوت، وتخمين المكان المقصود.

الرحلة لواحتي أوجلة وسيوة:

اعتاد النسامونيس على الذهاب إلى واحتي أوجلة وسيوة (Herodotus, II. 32., IV. 182)، وكلتا الواحتين يوجد بها معبد لآمون المعبود الليبي، وانتشرت عبادته بين القبائل الليبية، يوجد المعبد الرئيس بواحة سيوة، وذاع صيته في العالم القديم، وقصده الكثير من أجل الحصول على استشارة، وربما كان معبد آمون بسيوة، هو المختص بالوحي، لكن معبد أوجلة، من

أجـل ممارسـة طقـوس التعبـد والتـبرك بهـذا المعبـود، وفي المصـادر نجـد إشارات إلى أن تنبؤات آمـون لم تشـفع للنسـامونيس (كوريبـوس، السـابع، ص، 174)، وهذا دليل على طلب مشورة آمون، قبـل الشـروع في الحـرب. هناك أماكن كثيرة تقع في موطن النسامونيس، ارتبطت بآمون (Bates, 1914, pp, 197-198.)، وفي العصـر البـيزنطي، يـذكر بروكوبيـوس أن الإمـبراطور جستنيان، وجد سكان أوجلة يقدسون آمون، ويقدمون لـه الأضـاحي، وهنـاك مـزار لتقـديس أمـون، ومـزار لتقـديس الإسـكندر الأكـبر، ووجـد عـدد ليس بالقليـل من عبيـد المعبـد، لكن الإمـبراطور طهـر أرواحهم من الشـرك، وأدخلهم المسيحية، وبنى لهم كنيسة (Procopius, VI. 2. 14-20).

قدّسـت قبيلـة النسـامونيس الإلـه جورزيـل، ابن آمـون (كوريبـوس، الثاني، ص، 49)، وحمل قائدهم آيرنا، وكاهن جورزيل، مجسم لهذا المعبود، اثناء حربهم مع البيزنطيين، وكان هذا المجسم سبباً في موت القائد، عنـدما هرب من المعركة، لكنه لم يتخل عن المجسم، ممـا أعـاق حركتـه، وسـقط ميتاً، دون أن يتخلى عن معبوده المقدس.

الخاتمة:

هكذا استمر اسم النسامونيس في الظهور، طيلة العصـور، سـواء في المصـادر اليونانيـة أو اللاتينيـة، تمكنت من المحافظـة على موطنهـا، في شرقي خليج سرت، وفي الواحات الوقعة جنوبه. وتبيّن لنـا كمـا مـرّ بنـا، أن اسـمها ذو أصـول ليبيـة مرتبـط بـالمعبود آمـون. وقـد كـانت قبيلـة صـعبة المراس، لم تخضـع للقـوى الأجنبيـة، على الأرض الليبيـة، ودخلت معهم في صـدام وصـراع في أكـثر من موضـع، مسـتعينة ومسـتلهمة بنبـوءات آمـون، وشكلت رعباً لفترات طويلة، للبحارة المارين بمحاذاة شواطئ خليج سـرت الكبير. وكغيرها من القبائل الليبية عرفت نظام تعدد الزوجات، ولهـذا كـانت قبيلة كبيرة، كثيرة العدد. عبدت آمون وقدمت له الأضـاحي واستشـارته في أمور الحرب. واستطاعت التغلب على البيئة المناخية الصعبة على شـواطئ خليج سرت، فعرفت التجارة والزراعة والـرعي، واستكشـف رجالهـا أمـاكن بعيدة، بحثاً عن مصادر المواد الخام.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأدبية:

- Agroitas, (1885) in FHG. IV. P. 294, F1. **Fragment Historicorum Graecum** by Müller, K. Paris.
- Apollonius of Rhodes, **Argonautica**. LCL.
- Claudian, **on Stilicho's Consulship**. LCL.
- Dio Chrysostomus, **Orations**. LCL.
- Diodorus Siculus, **Library of History**. LCL.
- Dio's, **Roman History**. LCL.

- Eustathius, (1861) Ad Dion, 209 (GGM. II. p. 253). **Geographi Graeci Minores**, by Müller, K. Paris.
- Herodotus, **Histories**. LCL.
- Lucan, **Pharsalia**. LCL.
- Pausanias, **description of Greece**. LCL.
- Pliny, **Natural History**. LCL.
- Plutarch, **Cato Minor**. LCL.
- Pomponius Mela, **Chorographia**, https://topostext.org/work/145
- Procopius, **the Vandal wars, the Buildings**. LCL.
- Pseudo-Scylax, **Periplus**, (1885) 109 (GGM. I.), Geographi Graeci Minores, by Müller, K. Paris.
- Quintus Curtius, **history of Alexander the Great**. LCL.
- Sallstius, **the War with Jugurtha**. LCL.
- Servius, **Commentary on the Aeneid of Vergil**. https://topostext.org/work/548
- Silius Italicus, **Punica**. LCL.
- Solinus, **the Polyhistor**. Translated by Arwen Apps. https://topostext.org/work/747.
- Strabo, **the Geography**. LCL.
- Thucydides, **History of the Peloponnesian war**. LCL.
- Zonaras, **Annale**s, (1844). (in) Corpus Scriptorum Historiae Byzantina, vol. II. Ed. Pinder, M., Bonne.
- بطوليميوس، (2005)ـ **وصف ليبيا ومصر**، نقله عن الإغريقية، الدويب، محمد المبروك، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.
- كوريبوس، (1988)ـ **ملحمة الحرب الليبية الرومانية**، ترجمة وتحقيق الجراري، محمد الطاهر، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ليبيا.

ثانياً النقوش:

- IRT. 854. **Inscription of Roman Tripolitania**. http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT854.html.
- SEG. IX. (1938) **Supplementum Epigraphicum Graecum**, by Sijthoff, A.W., Leiden.

ثالثاً المراجع:

- شلوف، عبدالسلام محمد، (1994). **نصوص ونقوش من ليبيا**، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس.
- Bates, O. (1914). **The eastern Libyans an essay**, London. Macmillan and Co.
- Bénabou, M. (1976). **La résistance africaine à la romanisation**, Paris.

- Breasted, J. (1906a). **Ancient Records of Egypt. Historic Documents, from the Earliest Times to the Persian Conquest**, Vol. III. The nineteenth dynasty, University of Chicago Press.
- _____, (1906b). **Ancient Records of Egypt. Historic Documents, from the Earliest Times to the Persian Conquest**, Vol. IV. The twentieth to the twenty-sixth dynasties, University of Chicago Press.
- Carpenter, R. (1956). "A Trans-Saharan Caravan Route in Herodotus" in American Journal of Archaeology, **LX**, Pp. 231-242.
- Desanges, J. (2012). Nasamons in Encyclopedie Berber, **N. 33**. Pp.5252-5256. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2676.
- Gsell St. (1915) Hérodote, Textes relatifs à l'Afrique du Nord, Alger.
- Laronde, A., (1987). **Cyrène et la Libye hellénistique – Libykai Historiai – de l'époque républicaine au principat d'Auguste**, Paris. Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique.
- Laronde, A. (1988). "La Cyrénaïque romaine, des origines à la fin des Sévères (96 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.)", Aufstieg und Niedergang der Römischen Welt, **II.10.1**, Berlin-New York, Pp. 1006-1064.
- Modéran Y. (1989) "Gildon, les Maures et l'Afrique" In : Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 101, n°2. Pp. 821-872.
- Modéran, Y., (2003). **Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècle)**, Publications de l'École française de Rome.
- Reynolds, J. (1987). "Inscriptions from the Cyrenaica limes" in ed. A. Mastino L'Africa Romana Atti del **V** convegno di studio, Sassari 11-13 dicembre, Pp.167-172.
- Romanelli, P. (1959). **Storia delle province Romane dell'Africa**, Rome.
- Schellinger, S. (2010). "The Victory Stela of Piankhi (Ca. 725 BCE) " in Milestone Documents in World History: Exploring the Primary Sources That Shaped the Earth, **Vol. I**. 2350 BCE – 1058 CE, ed. Brian Bonhomme, Dallas: Schlager, Pp.91-107.
- Vivien de Saint Martin, (1863). **Le Nord de l'Afrique dans l'Antiquité grecque et romaine**, Paris.